



في يوم بعيد، قبل وقت طويل، خرج رجلٌ من بلده ضعيفاً طريراً يسعى في إثره الطالبوـن. واشتـد عليه الطلب فتـواريـ في شـقـ في رأس الجـبلـ، لكنـ طالـبيـهـ وصلـواـ إلىـ حـيـثـ تـوارـيـ وأـوـشـكـواـ أـنـ يـكـشـفـوهـ. وـكـانـ معـهـ صـاحـبـ، فـكـأنـ صـاحـبـ أـشـفـقـ علىـهـ مـنـهـ، فـسـكـنـ الرـجـلـ المـؤـمـنـ رـوـعـهـ وـثـبـتـهـ بـخـطـابـ الـوـاثـقـ بـرـبـهـ؛ قـالـ: لـاـ تـحـزـنـ، إـنـ اللـهـ مـعـنـاـ.

لم تكن تلك الكلمات المؤمنة المطمئنة نهاية رحلة المعاناة والتضحيات، لقد كانت بدايتها فحسب. كانت الرحلة شاقة طويلة، مرت فيها أوقاتٌ عصيبة بلغت فيها القلوبُ الحناجـرـ، وأـوـقـاتـ اقتـرـبـ فيهاـ النـاسـ مـنـ الـيـأسـ، وـلـكـنـهاـ لمـ تـنـقـضـ غـيـرـ سنوات حتى عاد الرجل الطريـدـ إـلـىـ بـلـدـهـ فـاتـحـاـ مـظـفـرـاـ، وـحتـىـ خـفـقـتـ رـايـاتـ جـيـوشـهـ فـيـ أـنـحـاءـ جـزـيرـةـ العـرـبـ، ثـمـ امـتـدـ نـورـ رسـالـتـهـ حتـىـ أـضـاءـ ماـ بـيـنـ طـنـجـةـ وـالـصـينـ.

صلـىـ عـلـيـكـ اللـهـ يـاـ رـسـولـ اللـهـ، لـقـدـ عـلـمـتـنـاـ مـعـنـىـ الثـقـةـ بـالـلـهـ وـمـعـنـىـ التـوـكـلـ عـلـيـهـ وـالـيـقـيـنـ يـنـصـرـهـ، فـهـلـاـ وـعـيـناـ الـدـرـسـ وـهـلـاـ قـبـسـنـاـ مـنـكـ الثـقـةـ وـالـتـوـكـلـ وـالـيـقـيـنـ؟

\* \* \*

فـيـمـ الـيـأسـ وـفـيـمـ الإـحـباطـ يـاـ عـبـادـ اللـهـ؛ مـاـ الـذـيـ اـخـتـلـفـ بـيـنـ الـأـمـسـ وـالـيـوـمـ أـوـ بـيـنـ صـبـاحـ هـذـاـ الـيـوـمـ وـالـمـسـاءـ؟ كـنـاـ وـحـدـنـاـ وـبـقـيـنـاـ وـحـدـنـاـ، وـكـانـ الـكـلـ عـلـيـنـاـ وـبـقـيـ الـكـلـ عـلـيـنـاـ، وـكـانـ أـمـلـنـاـ بـرـبـنـاـ وـاعـتـمـادـنـاـ عـلـىـ مـوـلـانـاـ بـرـبـنـاـ وـاعـتـمـادـنـاـ عـلـىـ مـوـلـانـاـ.

إـنـماـ هـيـ رـيـحـ الـخـرـيفـ هـبـتـ لـتـسـقـطـ أـورـاقـ الشـجـرـ الـذـاـبـلـةـ، وـقـدـ سـقـطـتـ وـذـرـتـهـ الـرـيـحـ.

إـنـ نـلـتـفـتـ وـرـاءـنـاـ الـيـوـمـ فـلـنـ نـرـىـ أـسـوـأـ مـنـ الـذـيـ رـآـهـ أـصـحـابـ مـوـسـىـ إـذـ يـسـعـونـ إـلـىـ الـبـحـرـ عـزـلاـ ضـعـفـاـ وـعـدـوـهـ يـسـعـيـ وـرـاءـهـ مـدـجـجاـ بـالـعـتـادـ وـالـسـلاحـ، فـارـتـاعـ الـقـومـ وـقـالـوـاـ: إـنـاـ لـمـ دـرـكـونـ.

قـالـ النـبـيـ الـوـاثـقـ بـالـلـهـ: كـلـاـ، إـنـ مـعـيـ رـبـيـ سـيـهـدـيـنـ.

فـأـنـجـاهـ اللـهـ وـمـنـ مـعـهـ أـجـمـعـيـنـ، وـأـغـرـقـ جـيـشـ الـأـعـدـاءـ فـلـمـ يـنـجـ مـنـهـ أـحـدـ، لـمـ تـنـجـ إـلـاـ جـثـةـ الـطـاغـيـةـ لـتـكـونـ عـبـرـةـ لـلـظـالـمـيـنـ وـعـلـامـةـ عـلـىـ قـدـرـةـ اللـهـ إـلـىـ آـخـرـ الـزـمـانـ.

إنه اختبار. من ظن أن الناصر هو هذه الدولة من دول الأرض أو تلك فقد خاب ظنه وهو الليلة من القانطين، ومن علم أن قُوى الأرض أدواتٌ يحركها الله وأنه هو الناصر على التحقيق فلن يخيب أمله ولن تهتز ثقته بالنصر، لأنه يعلم أن الله إذا صرف عنا أداة سخر لنا غيرها، وأنه لا يختار لنا إلا الخير.

ولعل من حكمته ورحمته بنا أن لا يضيع جهادنا الطويل فيُنضج ثمراته على أيدي الخصوم والأعداء.

هذا الاختبار يقول لنا: لقد كانت يد القدرة الإلهية معكم - يا أهل سوريا - من يوم حطمتم الصنم وهتفتم "هي لله"، وسوف تبقى معكم وتقودكم إلى آخر الطريق.

فلا تضلوا السبيل، ولا تعْلَّقوا بغير الله القلوب، ولسوف ينصركم الله - ولو بعد حين - كما نصر رسوله وأولياءه بعد حين. يومئذ يفرح المؤمنون.

[الزلزال السوري](#)

[المصادر:](#)